

Emevî ve Abbasî Dönemindeki Kadın Şairlerin Şiirlerinde İktibas ve Tazmin*

Hafssat Najm MAWLOOD

Öğretmen, Irak Milli Eğitim Bakanlığı

afsn77@yahoo.com

<https://orcid.org/0000-0002-2713-2981>

ÖZ

İster hür ister cariyeye olsun Emevî ve Abbasî kadın şairlerinin tüm şiir temalarında rolleri vardır. Emevî ve Abbasî kadın şairlerinin şiirlerini araştırırken onlardan bazılarının Kur'ân-ı Kerim ve hadis-i şeriflerden iktibaslarla bulundukları ve şiirlerinde tazmin sanatının örneklerinin geçtiği görülmüştür. Buradan hareketle onların şiirlerindeki iktibas ve tazmin sanatını tahlil etmenin bu alana katkı sağlayacağı kanaatine ulaştık.

Girişte iktibas ve tazmin tanımlarına ve türlerine yer verilmiştir. Daha sonra Kur'ân-ı Kerim'den yapılan iktibaslar ve bu iktibasların kadın şairlerin nazmettikleri şiir konularıyla ne kadar alakalı oldukları incelenmiştir. İkinci kısımda, hadis-i şeriflerden yapılan iktibaslar ile bunların kullanım biçimleri ele alınmıştır. Üçüncü kısımda ise şairlerin sıkça başvurdukları tazmin konusu işlenmiştir.

Bu çalışmada, İslam kaynaklarının ilki olması hasebiyle önce Kur'ân-ı Kerim'deki iktibaslara, sonra da ikinci kaynak olan hadislerdeki iktibaslara yer verilmiştir. Ardından Emevî ve Abbasî dönemindeki kadın şairlerin şiirlerinde yer alan tazmin sanatlarından, bu sanatların hedeflerinden ve kadın şairlerin şiirlerinde hangi sanatın daha öne çıktığından bahsedilmiştir.

Anahtar Kelimeler: *İktibas, Tazmin, Ayetler, Şiir, Hadis-i Şerifler, Emevî, Abbasî*

Quotation and Inclusion in The Poetry of Umayyad and Abbasid Women Poets

ABSTRACT

The poets Umayyad and Abbasî silks of them and maidservants their role in the systems of Arabic poetry in all its purposes, when I studied the poetry of poets in the Umayyad and Abbasî eras I found that some of them have quoted from the Qur'an and the hadiths of the Prophet, and the inclusion in their poems, and this phenomenon drew my attention so that I thought to study the quotation and inclusion a detailed analytical study in their poems, where most of it came to suit the meanings of these poems, and I began in the introduction to this research by mentioning a brief summary of the quotation and inclusion, and their definition, and mention its types.

And arranged the research so that it begins with the study of quotation in the Holy Quran, and the appropriateness of these quotations with the poetic topics organized by the poets, then in the second section I mentioned the quotation from the hadith of the Prophet, and how to use it, and in the third section the inclusion of poetry that more poets of it, In this study, I dealt with the quotation from the Qur'an in the first for the status of the Holy Qur'an, which comes as the first source of Islam, and the Sunnah of the Prophet the second source, and then mentioned the inclusion of Arabic poetry when poets in both eras, and the goal behind the quotation and inclusion and its types, and which one was more prominent in their poems.

Keywords: *Quotation, Inclusion, Verses, Poetry, Hadith, Umayyad, Abbasîd*

* Makale Geliş Tarihi / Received: 17.04.2022

Makale Kabul Tarihi / Accepted: 20.05.2022

الاقْتِباس والتضمين في شعر الشاعرات الأمويّات والعباسيات

الملخص

كان للشاعرات الأمويّات والعباسيات الحرائر منهنّ والجواري دورهنّ في نظم الشعر العربي بكافة أغراضه، فعند دراستي لشعر الشاعرات في العصرين الأموي والعباسي وجدتُ أنّ بعضاً منهنّ قد اقتبسْنَ من القرآن والأحاديث النبوية، ووردَ التضمين في أشعارهنّ، وهذه الظاهرة لفتت انتباهي بحيث ارتأيتُ أنّ أدرسَ الاقتباس والتضمين دراسة تحليلية تفصيلية في أشعارهنّ، فجاء أكثره لتلائم معاني هذه الأشعار، وقد بدأتُ في مقدمة هذا البحث بذكر نبذة مختصرة عن الاقتباس والتضمين، وتعريفهما، وذكر أنواعه. ورتبْتُ البحث بحيث يبدأ بدراسة الاقتباس في القرآن الكريم، ومدى ملائمة هذه الاقتباسات مع الموضوعات الشعرية التي نظمتُ الشاعرات فيها، ثم في القسم الثاني ذكرْتُ الاقتباس من الحديث النبوي، وكيفية استعماله فيه، وفي القسم الثالث التضمين من الشعر الذي أكثرَتْ الشاعراتُ منه، وقد تناولتُ في هذه الدراسة الاقتباس من القرآن بالأول لمكانة القرآن الكريم الذي يأتي كمصدر أول للإسلام، والسنة النبوية المصدر الثاني، وبعد ذلك ذكرت التضمين من الشعر العربي عند الشاعرات في كلا العصرين، والهدف وراء الاقتباس والتضمين وأنواعه، وأيّهم كان أكثر بروزاً في أشعارهنّ.

الكلمات المفتاحية: الاقتباس، التضمين، الآيات، الشعر، الحديث النبوي، الأموي، العباسي.

مقدمة

ذكر البلاغيون الاقتباس كنوع من أنواع البديع، وجاء في لسان العرب "اقتبست منه علماً"¹ أي على سبيل الاستعارة وأقروا بوجود الاقتباس، فجاء تعريفه الاصطلاحي بأنه "تضمين الكلام، نثراً كان أو نظماً، شيئاً من القرآن أو الحديث أو من مصطلح العلوم على وجه غير مشعور به"². وهذا التعريف ذكره البلاغيون في كتبهم البلاغية، وقد لا يأتي الاقتباس من القرآن أو الحديث أو مصطلح العلوم بل قد يكون التضمين من الكلام أو الشعر، "فاقتبس الشاعر أو الناظم، بمعنى ضمن كلامه من كلام

¹ محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفرقي، ابن منظور، لسان العرب، مح. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، 3511.

² جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط.2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1984)، 30، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق، يوسف الصميلي، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)، 337.

غيره³ وجاء تعريف مصطلح التضمنين عند ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) بقوله: "فأما التضمنين فهو قصدك إلى البيت من الشعر، أو القسم، فتأتي به في أواخر شعرك، أو في وسطه، كالمتمثل...".⁴ ووفق هذه التعريفات فإن الاقتباس يخص القرآن والحديث النبوي أما التضمنين فإنه يخص الشعر، وجاء تقسيم الاقتباس من القرآن والحديث النبوي الشريف على ثلاثة أنواع:

أ - الاقتباس النصي: وهو أن يقتبس الشاعر من القرآن أو الحديث النبوي أو الشعر مقطعاً أو بيتاً أو عبارة أو آية أو نصف آية، كما يقول أحمد طعمه حلبي: "وهو أن يعمد الشاعر إلى نص مستقل أو متكامل بذاته، سواء أكان بيتاً، أم أبياتاً، أم شطراً من بيت شعري، أم جملة نثرية كاملة، فيقتطفه من سياقه السابق، ويضعه في نصه اللاحق على حاله، من دون أن يغير في بنيته الأصلية لا بزيادة ولا بنقصان، ولا بتقديم ولا بتأخير، سواء في ذلك أم وضعه ضمن علامتي تنصيص أم لا".⁵ وقد ورد هذا النوع عند الشعراء الأمويين والعباسيين.

ب - الاقتباس الجزئي: وهو من اسمه نعرف بأنه اقتباس ليس بكامل، وجاء تعريفه "أن يعمد الشاعر إلى نص نثري أو شعري، فينقطع منه عبارات أو جملاً، أو تراكيب جزئية غير مكتملة، ويضعها في نصه اللاحق".⁶ ورد هذا النوع عند الشعراء عند اقتباسهم من القرآن أو الحديث النبوي.

ج - الاقتباس التحويري: فهذا النوع ليس من الاقتباس النصي ولا الاقتباس الإشاري، فهو قريب نوعاً ما من الاقتباس النصي، فالشاعر يورد آية قرآنية، ولكنها محورة عن سياقها القرآني من حيث التقديم أو التأخير من دون الإخلال بالمعنى سواء أكان الشاعر زاد بعض الحروف أم أنقصها أم بدل كلمة مكان كلمة أخرى تحمل المعنى نفسه أم مرادفه، فضلاً عن طبيعة المخاطب سواء أكان مفرداً أم مثنى أم جمعاً.⁷ وهذه الأنواع الثلاثة وظفتها الشعراء الأمويين والعباسيين في أشعارهم.

³ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، 30.

⁴ أبو الحسن علي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مح. النبوي عبد الواحد شعلان، ط.1 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2000)، 719.

⁵ أحمد طعمة حلبي، أشكال التناص الشعري شعر البياتي أنموذجاً، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 230/، (شباط، 2007)، 10.

⁶ أحمد طعمة الحلبي، أشكال التناص الشعري شعر البياتي أنموذجاً، 14.

⁷ فائزة رضا شاهين، المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري، (العراق: جامعة تكريت، رسالة ماجستير، 2004)، 35.

1- الاقتباس من القرآن:

نلاحظُ التناصَّ القرآنيَّ في شعر بعض من الشعراء بحيث اقتبسَ من الآيات القرآنية بما يتناسب مع وضعهن وحالتهن فكان بعضهن مدركاتٍ لكيفية توظيفهنَّ لهذه الآيات وعارفاتٌ للمعاني وأحكامها، وقد لجأنَّ إليها لتقوية معانيهنَّ، وقد اصطبغ بعض أشعارهنَّ بصبغة دينية، فورد التناصُّ الاقتباسي في هذه الأبيات لامرأةٍ حضرت مع زوجها للطلاق فالزوج لا يريد أن يطلقها، ولكنها كانت مصرةً على الطلاق، ولم تعدل عن رأيها، فقالت في ذلك شعراً:⁸

لما غدا الأليدُ عهدِي ناقضاً وأرادَ ثوبُ الوصلِ أن يتمزقا

فارقتُهُ وخلعتُ من يدي وتلوثُ لِي ولهُ "وإن يَتَفَرَّقَا"

فقد عمدتُ الشاعرة في عجز البيت الثاني إلى جزء من الآية من القرآن، من غير أي تغيير أو تحوير، أو حذف أو اضافة، ووضعتها ضمن علامتي التنصيص في قولها: "وإن يَتَفَرَّقَا" ومن المعلوم أنَّ الشاعرة قد اقتبسَتْها من قوله تعالى: (وإن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا)⁹، فجاء تفسير الآية في حالة الفراق بين الزوجين، "وقد أخبر تعالى أنَّهما إذا تفرقا فإنَّ الله يغنيها عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه".¹⁰ فالشاعرة اقتبسَتْ جزءاً من هذه الآية لكي تؤكد وتبرر موقفها من الطلاق، فتكتسب بذلك صدقية، وللإفادة من التوجيه الذي تحمله هذه الآيات، فإنَّه حتى وإن تفرقا فإنَّه أمرٌ ذكره الله تعالى في كتابه بحيث يغني كل واحد منهما عن بعضهما، ومما جاء في قول الشاعرة العباسية هند جارية أبي محمد بن مسلمة الشاطبي الكاتب حيث وظفت آية من القرآن الكريم قولها:¹¹

⁸ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.)، 97.

⁹ النساء، 130/4

¹⁰ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط.1، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2000)، 541.

¹¹ السيوطي، المستطرف من أخبار الجواري، مع صلاح الدين المنجد، ط.2، (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976)، 73

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَشَقَّ عَنَا الظُّلْمَةَ الصُّبْحُ
خَدِينِ مَلِكٍ، وَرَجَى دَوْلَةً هُمُ الْإِشْفَاقُ، وَالنَّصْحُ
وَكُلُّ بَابٍ لِلنَّصْرِ مَغْلَقٌ فَإِنَّمَا مِفْتَاحُهُ الْفَتْحُ

فوجدت الشاعرة قد اقتبست آية من القرآن الكريم في صدر البيت الأول "قد جاء نصر الله والفتح" فهذه العبارة مقتبسة من قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)¹² ولكن الشاعرة قد استبدلت "إذا" الشرطية غير الجازمة بـ "قد" حرف تحقيق لدخولها على الفعل الماضي لهذا لم تضع هذه الآية ضمن علامتي التنصيص لكونها قد غيرت فيها تغيراً طفيفاً، فهذا النوع يسمى الاقتباس التحويري بحيث استبدلت أداة "إذا" بأداة أخرى وهي "قد" بما يتلاءم مع قصدها، لتجمل المعنى، وما تحمله من معنى ودلالة أرادته الشاعرة أن تثبت للممدوح عن طريق اعتمادها على هذه الآية، بحيث قاربت بين معنى الآية مستعملة "قد" حرف تحقيق مسبوق بالفعل الماضي لتؤكد على قرب نصر الله والفتح وانجلاء الظلمة بوجود الخليفة، فهو تماثل في المعنى والمفهوم، وقد جاء استحضار هذه الآية واستلهاها وتوظيفها من قبل الشاعرة لكي تقوي بها كلامها في المدح، وجاء الاقتباس الإشاري في قول الشاعرة الأموية ليلي الأخيلية (ت 75هـ) في موت توبة قائلة:¹³

نَظَرْتُ وَرَكُنْتُ مِنْ ذِقَانَيْنِ دُونَهُ مَفَاوِزُ حَوْصَى أَيْ نَظَرْتُ نَاضِرٍ
لَا وَنَسَ إِنْ لَمْ يَقْصُرِ الطَّرْفُ عَنْهُمْ فَلَمْ تَقْصُرِ الْأَخْبَارُ وَالطَّرْفُ قَاصِرِي
فَوَارِسُ أَجَلِي شَأُوهَا عَنْ عَقِيرَةٍ لِعَاقِرِهَا فِيهَا عَقِيرَةٌ عَاقِرٍ

وفي تكرارها للفظ "عقيرة، عاقر" توكيداً على قتله من قبل أعدائه، فكلمة "العقر" هنا فيه الاقتباس الإشاري من قصة قوم صالح "عليه السلام" تنسجم مع أبيات الشاعرة انسجاماً نفسياً، فجاء في قوله تعالى حكاية عن حالهم: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا)¹⁴ فقوم صالح لما عقروا

¹² النصر، 1/110

¹³ ليلي بن حذيفة بن شداد بن معاوية، ديوان ليلي الأخيلية، مح. خليل إبراهيم العطية، وجليل العطية، (بغداد: دار الجمهورية، 1967)، 77.

¹⁴ الشمس، 14/91.

الناقصة أَطْبَقَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، فَأَهْلَكَهُمْ، فقد اعتمدت الشاعرة على هذا المفهوم القرآني للإفصاح عما يحول في خاطرها، ولتنذر بها هؤلاء القوم بنفس العقاب الذي عاقبه الله به قوم "صالح" من العذاب، والهلاك جزاء ما فعلوه بتوبة، وتؤكد وتثبت على حادثة مقتل توبة من قبل هؤلاء القوم الذي شبههم بقوم "صالح" وكيف سينالون العقاب على فعلتهم، فأرادت الشاعرة من وراء هذا الاقتباس تعميق وتقوية دلالة قصيدتها، وأيضاً من أجل أن تمنح شعرها قوة ووضوحاً، وتثير عواطف المتلقين من خلال هذا الاقتباس.¹⁵ وجاء الاقتباس بالتناسل الإشاري في قول الشاعرة العباسية عليّة بنت المهدي (ت210هـ) قائلة:¹⁶

أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُه أَيُّ ذَنْبٍ	أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا خَفَافَةُ رَبِّي
بِمَقَامِي بِطَلْعِ زِينَابَادَ يَوْمًا	بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا	تَقْتِرُ النَّاسِكَ الْخَلِيمَ وَتُضَيِّ
فَهَوَّةً قَرَقَفًا تَرَاهَا جَهُولًا	ذَاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَةً كُلَّ كَرْبٍ

نرى أنَّ الشاعرة كررت اسم الإستفهام "أي" مع لفظة "ذنب"، فهي خرجت باستفهامها إلى معنى التحقق والتقرير فجاء الاقتباس الإشاري من القرآن في قولها "أي ذنب" فهي تنفي على نفسها الذنوب لأنها تخاف الله، فقاربت نصها من القرآن الكريم، فجاء الاقتباس الإشاري في قوله تعالى: - (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)¹⁷، فالشاعرة وظفت جزءاً من هذه الآية لتنبية المتلقي، ولكي تماثل أو تشابه حالها بحال "المؤودة" التي انظلمت، ولتصل فكرتها لأخيها وتأثر فيه من خلال هذا الاقتباس، فهناك تماثل بين الحالتين أو الموقفين من حيث الظلم من أقرب الناس إلى المظلوم الإنثى، ولتعيد إلى

¹⁵ فاطمة أحمد حماد، وفرج منسي محمد، أثر الاقتباس والتضمين في شعر لسان الدين بن الخطيب، مجلة جامعة الأنبار للغات، 27/، (كانون الأول، 2018)، 71.

¹⁶ عليّة بنت المهدي، ديوان عليّة بنت المهدي، جمع وتحقيق. سعدي ضناوي، ط.1، (بيروت: دار صادر، 1997)، 20.

¹⁷ التكوير 9-8/29

الذاكرة ما كان يفعلُ بالإنثى في عصر ما قبل الإسلام، وقد وجدنا توظيف القرآن في قول الزاهدة ميمونة السوداء حيث ورد فيه الاقتباس بالتناص الإشاري من القرآن قولها:¹⁸

يا واعظاً قامَ لاحتساب	يزجرُ قوماً عن الذنوبِ
تَنهى وأنتَ السقيم حَقاً	هذا من المنكر العجيب
لو كنتَ أصلحتَ قبلَ هذا	عيبك أو تبتَ من قريبِ
كان لما قلتَ يا حبيبي	موقع صدقٍ من القلوبِ
تنهى عن الغي والتماذي	وأنتَ في النهي كالمريبِ

فالشاعرة في معرض النصيح والإرشاد والتوجيه، بحيث تنادي وتطلبُ من الآخر قبلَ أن يحاسب الآخرين عليه أن يحاسب نفسه أولاً وينهها عن غيها، فقاربت الشاعرة نصها من القرآن الكريم، وشبه حال الواعظ بحال هؤلاء القوم الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم، فجاء الاقتباس الإشاري من غير أن تلتزم فيها الشاعرة بلفظها وتركيبها، وذلك في قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ) ¹⁹، فهذه المعاني والمفاهيم تتشابه وتتماثل مع هذا المعنى في القرآن الكريم بحيث أكتسبت النص متانة وقوة.

وجاء الاقتباس من القرآن في قول امرأة كان يضايقها زوجها، فتشعر بالضيق، ولكنها تنفس عن نفسها بهذه الإبيات قائلة:²⁰

يا من يلذذُ نفسهُ بعذابي	ويرى مقاربي أشدَّ عذابِ
مهما يلاق الصابرون فأنهم	يؤتون أجرهم بغيرِ حساب
لو كنتَ من أهل الوفاء وفيت	إنَّ الوفاء حلَى ألي الأسبابِ

¹⁸ غلية مصطفى مبارك، أم الفضل، نساء زاهدات، (الدار البيضاء: مكتبة السلام، 1999)، 95.

¹⁹ البقرة، 44/2.

²⁰ بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط.1، (بيروت: دار الأهلية، 1934)، 203.

ففي البيت الثاني اقتبست الشاعرة قولها من قوله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَوِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِعَرِّ حِسَابٍ).²¹ فهذا الاقتباس التحويري من هذه الآية لتؤكد عليه الشاعرة مدركة ما للصبر من أجر عند الله سبحانه وتعالى، مع ما يضيفي الآية القرآنية من جمالية على المعنى، فإنه أيضاً يكسبه الصدقية، فسبحانه وتعالى وعد بأن يعطي الصابرين أجرهم في الآخرة على ما لقوا من العذاب في الدنيا، وجاء الاقتباس الاشاري في قول ربحانة الزاهدة:²²

بوجهك لا تُعَذِّبني فإني أُوْمِلُ أن أفوزَ بخير دار
منجدةٌ مزخرفةٌ العاللي بها المأوى ونعم هي القرائ
وأنتَ مجاور الأبرار فيها ولولا أنتَ ما طاب المزار

فقد اشارت الشاعرة إلى آية في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى).²³ فهذا المكان للذين يخافون الله ويطيعونه وينهون النفس عن الهوى، فإن مصيرهم ومرجعهم الجنة الفيحاء.²⁴ فهي تأملُ الفوز بالجنة التي هي مأوى الصالحين والأبرار، فهذه الصورة الإيجابية أوضحت الشاعرة فكرتها.

فهذه الاقتباسات من القرآن سواء أكان نصياً أم إشارياً جاء لتخدم غرض الشاعرات، وموقفهن ولتثبت فكرتهن وتقوية اسلوبهن، وهذه الأنواع من الاقتباسات إنما تعكس مدى ثقافتهن الدينية، وتأثرهن بالقرآن الكريم، فكان القرآن وما زال منبعاً ثراً أغنى به الشعراء والشاعرات قصائدهم.

²¹ الزمر، 10/39

²² أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، مح. عمر الأسعد، ط.1، (بيروت: دار النفائس، 1987)، 281.

²³ النازعات، 41/79

²⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1959.

2 - الاقتباس من الحديث النبوي:

كان الشعراء مدركات لأثر الحديث النبوي الشريف ومكانته، لكونه المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، لهذا نجد الشاعرة العباسية نجية القحطانية قد اقتبست من الحديث النبوي قولها:²⁵

إذا أصبح المرء في عيشةٍ من المال والأمن في سرِّه

أتى عَرَضٌ جَدَّ في مَوْتِهِ فصاحَ الفنا به: سرِّ به

ففي البيت الأول جاء الاقتباس الإيحائي من الحديث النبوي الشريف بالمعنى من غير أن تلتزم الشاعرة فيه بلفظه وتركيبه، وذلك الإيحاء إلى الحديث النبوي عن النبي "صلى الله عليه وسلم": (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافٍ جَسَدُهُ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا).²⁶ فقد أحدثت الشاعرة بعض التغيير بحيث استبدلت اسم الموصول "مَنْ" الذي يأتي بمعنى "الذي" بأداة "إذا" الشرطية، وبعض من التأخير والتبديل للكلمات وترادف معانيها، مع التطابق في المعنى العام، فتصور الشاعرة حال الإنسان وهو في نعمة الأمن والأمان، فإذا هو أصبح في ذلك اليوم، وهو في عيشة آمنة بين أهله وجماعته، ليشعر بالأمان على نفسه وأهله وماله هذه النعمة العظيمة من نعم الله تبارك وتعالى، والتي لا يدرك قيمتها إلا من فقدوها، وجاء الاقتباس بالتناسل الإشاري من الحديث النبوي في قول حيونة الزاهدة قائلة:²⁷

ليسَ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ فِطْرٌ وَلَا أَضْحَى وَلَا عَشْر!

نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ عَلَى قُرْبِهِ كَذَاكَ مَنْ مَسَكَنَهُ الْقَبْرِ

فركزت الشاعرة الزاهدة على معنى الموت، فعندها يموت الإنسان ينتهي كل شيء لأنه ليس للميت في قبره فطرٌ ولا أضحى ولا عشر فورد في الحديث النبوي أهمية هذه العبادة وخاصة أيام العشر، فهذه إشارة إلى الحديث النبوي عن انقطاع الإنسان عن الدنيا وما فيها، فهو إشارة إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،

²⁵ السيوطي، نزهة الجلساء، 82.

²⁶ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، البخاري، الأدب المفرد، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 2011)، 84.

²⁷ النيسابوري، عقلاء المجانين، 289.

أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).²⁸ فالشاعرة استطاعت أن تقدم تصورها بالإعتماد على الحديث النبوي دون أن تنقل سياقه نقلاً حرفياً.²⁹

وظفت الشاعرة أم الشريف التي عاصرت المعتضد بالله (ت 282 هـ) الاقتباس من الحديث النبوي الشريف قولها:³⁰

وداو ذلك والأدواء مكنة وإذا طبيبك قد ألقى إليك يدا

ففي صدر البيت الاقتباس الإيحائي من الحديث النبوي الشريف في قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).³¹ وما نزل الله داء إلا ومعه الدواء، ولكن يجب الأخذ بالأسباب، فنلاحظ تمثيل الشاعرات إلى لإيحاء بالنص القرآني، أو الاقتباس الإشاري، فلم نجد تمثلهن بالإقتباس النصي للأحاديث النبوية.

ومن الملاحظ في الشواهد السابقة كلها أن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي بشكل عام ليس مفرداً بل مركب في أكثر من لفظ، وهذا الشرط لتحقيق الاقتباس.³² وكل ذلك يأتي دعماً لأفكارهن ولتقوية أساليبهن، وتثبيتاً لنصوصهن في ذهن المتلقي.

3 - التضمين من الشعر:

وجدنا نماذج كثيرة في التضمين من الشعر عند الشاعرات الأمويات والعباسيات سواء أكان من صدر أم عجز البيت الشعري أم بيت كامل، وهذا أمر جازع عند الشعراء، ومن ذلك ما ورد عند شاعرتين

²⁸ الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط. 1، (بيروت: دار احياء الكتب العربية عيسى الباب الحلبي وشركاه، 1991)، 1255.

²⁹ موسى سامح ربابعة، الاقتباس والتضمين في شعر عرار، مجلة دراسات-العلوم الإسلامية 1/19، (كانون الثاني، 1992)، 226.

³⁰ عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1959)، 293/2.

³¹ الإمام مسلم، صحيح مسلم، 1729.

³² عبد الرحمن بن عيسى العمري المرشدي، شرح عقود الجمان، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954)، 213/2.

أمويتين من غير أي اختلاف يذكر في معانيها وتراكيبها، فجاء في شعر الشاعرة الأموية ليلى بنت سعد العامرية (ت 67هـ) حبيبة قيس بن الملوح "المجنون"، قولها: ³³

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ مَتَى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلُّ فَرَاغُ
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ

فوجدت الشاعرة قد ذكرت اسم قيس حبيبها لتصف معاناتها في حب قيس، ولكن هذين البيتين وردت عند الشاعرة الأموية ليلى الأخيلية حبيبة توبه التي عاصرت ليلى بنت سعد العامرية في ديوانها. ³⁴ فلم نجد أي اختلاف بين البيتين للشاعرتين الأمويتين، ولكن ورد تضمين البيت الثاني في شعر الشاعر الأموي يزيد بن الطثيرة الذي عاش بعد الشاعرتين الأمويتين (ت 127هـ) قوله: ³⁵

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ

فهذا تضمين غير محور عند يزيد، فقصد الشاعر بيتاً كاملاً دون أن يحدث فيه أي تغيير يذكر، وهذا يعني أن الشاعر كان واعياً أثناء عملية التضمين. ³⁶ وقد وجاء التضمين في قول الشاعرة العباسية عائشة العثمانية عند رثائها لمكة: ³⁷

أَرَقْتُ لِبرقِ بدا ضوؤه بمكة يبدو ويخفى مرارا
ومأوى الغريب ومأوى القريب وآمنة ليلها والسنهارا

فنرى أن عائشة قامت بتضمين أجزاء في البيت الأول من الشعر في قول ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) في العصر المملوكي باختلاف طفيف بين البيتين قوله: ³⁸

أَرَقْتُ لِبرقِ كَمَتَنِ الحُصَا م يبدو مراراً ويخفى مرارا
كَأَنَّ الصَّبَاحَ أَتَى زَائِراً إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَلَّى فِرَاراً

³³ بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، 159، وعمر رضا كحالة، أعلام النساء، 4/316.

³⁴ ورد هذين البيتين عند ليلى الأخيلية، ديوان ليلى الأخيلية، 85.

³⁵ يزيد بن سلمة بن سمره الخير، شعر يزيد بن الطثيرة، صنعة. حاتم صالح الضامن، (بغداد: مطبعة أسعد، 1973)، 78.

³⁶ موسى سامح ربابعة، الاقتباس والتضمين في شعر عرار، 231.

³⁷ أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله، طبقات الشعراء، مح. عبد الستار أحمد فراج، (مصر: دار المعارف، 2009)، 424.

³⁸ أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين، ديوان ابن سنان الخفاجي، مح. مختار الأحدي، ونسيب النشاوي، (دم.م.: مجمع اللغة العربية، 2007)، 501.

وهذا النوع يسمى الإيداع لأنَّ الشاعر قد يودع شعره شيئاً من شعر غيره.³⁹ ولكنَّها غيرت وبدلت في الفاظه، وقد أضافت عليه من عندها وبرزتها بشكل تختلف عما كان عليه في السابق، وهذا ما وجدناه عند الشاعرة عائشة، وقال أبو هلال العسكري في ذلك: "فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممَّن تقدَّمهم والصبَّ في قوالب من سبقهم، ولكن عليهم - إذا أخذوه - أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويورودها في غير حلتها الأولى، ويزيدونها في حُسن تأليفها وجودة تركيبها".⁴⁰ ولكن بتغير يتناسب مع موضوعها في بعض من الكلمات في البيت الأول. فقد ضمنت الشاعرة الفارعة (أو فاطمة وقيل ليلي بنت طريف بن الصلت التغلبية الشيبانية العباسية) شيئاً من شعر هذبة بن الخشرم (ت50هـ) عندما كانت ترثي أخاها الوليد:⁴¹

ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهرٍ ملحٍ بالكِرامِ عنيفٍ
وللبدرٍ من بين الكواكبِ إذ هوى وللشمسِ لما أزمعتْ بكسوفٍ

ومما جاء في قول هذبة بن الخشرم عندما قتلَ زوجَ أخته، وسأله معاوية عن خبر ما حصل، فقال له هذبة أتريدها نثرًا أم نظمًا، فقال له معاوية: هاها نظمًا، فأنشده الشاعر الأموي قائلاً:⁴²

ألا يا لقومي للنوائبِ والدَّهرِ وللمرءِ يُردي نفسه وهو لا يدري
ألا ليتَ شعري إلى أمِّ معمرٍ على ما لقينا من تناءٍ ومن هجرٍ
تباريحُ يلقاها الفؤادُ صابئةً إليها وذكراها على حين لا ذكرٍ

³⁹ عبد القادر فهلوز، التضمين الشعري: مفهومه، شروطه، طرقه، مراتبه، وجماليته، مجلة المدونة، 2/8، (حزيران، 2021)، 1887.

⁴⁰ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مع. علي محمد البجاوي، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، 196.

⁴¹ عمر رضا كحالة، أعلام النساء، 20/4.

⁴² هذبة بن الخشرم العذري، شعر هذبة بن الخشرم العذري، مع. يحيى الجبوري، ط.2، (دمشق: دار القلم للنشر، 1986)، 101.

فعمدتُ الشاعرة فيه إلى تضمين جزء من البيت، فأحدثت فيه تغييراً يناسب وزن البيت وقافيته، فهذا تضمين تقريباً لربع البيت، وقد اطلق النقاد على هذا النوع مصطلح "الإيداع" لأنَّ الشاعرَ يودع شيئاً من شعر غيره، وكما أطلقوا عليه مصطلح "الرّفو" أيضاً.⁴³ فإنَّ حالة الحزن التي كانت تسيطر على الشاعرة هي التي دفعتها إلى أن توظف جزءاً من البيت وأن تضمّن قول الشاعر هدية، "ألا يا لقومي من النوائب" فقد اقتبست الشاعرة هذا المعنى وضمّنته بيتها مع إجراء تغيير ناسب السياق الذي ارادته له، فهي تنادي قومها وتنبههم مما نزل بهم من مصائب، فالشاعرة تتألم وتتحسر على أخيها الميت، فهذا الإقتراب بين حالة الشاعر والشاعرة كان الدافع وراء هذا التضمين.

وقد جاء تضمين الشاعرة عُلية بنت المهدي البيت الثاني من شعر شاعرة أخرى قائلة:⁴⁴

يا عاذِلتي قَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عَاذِلًا حَتَّى ابْتُلِيتُ فَصِرْتُ صَبًّا جَاهِلًا
الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ جَهْلًا فَإِذَا تَمَكَّنَ صَارَ شُغْلًا شَاغِلًا
أَرْضَى فَيَغْضَبُ قَاتِلِي فَتَعَجَّبُوا يَرْضَى الْقَتِيلُ وَلَا يُرَضِّي الْقَاتِلَا

فقد تأثرت الشاعرة عُلية بهذه الأبيات لهذه الشاعرة الجارية التي تشكو من أمر الحب وتتعجب، ومن ذلك قولها:⁴⁵

الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لَجَاجَةً تَأْتِي بِهِ وَتَسْوَقُ الْأَقْصَادَارَ
حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لَجَجَ الْهُوَى جَاءَتْ أُمُورَ لَا تَطَاقُ كِبَارَ
مَنْ ذَا يَطِيقُ كَمَا نَطِيقُ مِنَ الْهُوَى غَلَبَ الْعِزَاءُ وَبَاحَتْ الْأَسْرَارَ

فقد أفادت عُلية من معنى، وموقف الشاعرة السابقة لها وحالتها، وقد استعارت صدر البيت، فألبست شعرها حلة جديدة وجعلته في سياق جديد مع الإشتراك في المعنى والمفهوم، فمهوم الحب عند الشاعرتين

⁴³ محمد بن أحمد بن عرفة المصري، الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، مح. عبد الحميد هنداي، ط. 1، (بيروت: المكتبة العصرية، 2007)، 266/4.

⁴⁴ عُلية بنت المهدي، ديوان عُلية بنت المهدي، 47.

⁴⁵ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن القيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992)، 183/1.

واحدة، فالشاعرةُ غُلِيَّة تشكو من الحبِّ وبلواه، فكان أول ما يكون جهالةً، فتغير كلمة واحدة في شطر هذا البيت وهو "لجاجة"، ولكن بعدما تمكن الحب من قلبها صارَ هو الشغل الشاغل، فهذا النوع من التضمين يسمى "الإيداع" مثلما قلنا سابقاً.

ونلاحظ أنَّ ربحانة الزاهدة كررت أبياتاً بكامله من غير أي تغيير لأبي العتاهية (ت213هـ) قولها:⁴⁶

أرى الدنيا لِمَن هيَ في يَدَيه عَذَاباً كُلُّما كَثُرَتْ لَدَيهِ
تُهِئُ المَكْرِمِينَ لَهَا بِصُغُرٍ وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ⁴⁷

قد يكون تكرار الشاعرة لهذه الأبيات تأكيداً لها على وجود هذه الحالة السلبية غير المحببة في هذا المجتمع، فهو يعكس خلافاً في منظومة المجتمع والحكم في البلاد، بحيث أصبحت تُهيئ المكرمين، وتكرم كل ذليل، وهذه حال الدنيا بحيث يجعل أعز الناس أذلة، والدعوة فيه الى القناعة بما لدى الإنسان. ونجد الشاعرة الزاهدة والمتصوفة "ميمونة السوداء" قد وظفت أبياتاً للحلاج مع اختلاف طفيف فيها قائلة:

48

قُلُوبُ العَارِفِينَ لَهَا عُيُونٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاطِرُونَ
وَأَلْسِنُهُ بِسِرٍّ قَدْ تُنَاجِي تَغِيْبُ عَنْ الكَرَامِ الكَاتِبِينَ
وَأَجْنَحَةٌ تُطِيرُ بِغَيْرِ رِيشٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَنَسْقِيهَا شَرَابَ الصَّدَقِ صَرْفاً وَتَشْرِبُ مِنْ كُؤُوسِ العَارِفِينَ

فزهدها زهدُ العارفين بحيث تترك كل ما يشغل عن الله، فهي تصوِّر المبصرين الذين يعرفون الله بقلوبهم، فقلوبهم هي التي تبصره إذ أنَّ "شُعَاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك، وَعَيْن البصيرة يشهدك عَدَمَكَ

⁴⁶ النيسابوري، عقلاء المجانين، 283.

⁴⁷ إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ديوان أبو العتاهية، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986)،

465-464.

⁴⁸ النيسابوري، عقلاء المجانين، 293.

لوجوده، وَحَقَّ البَصِيرَةُ يُشْهِدُكَ وجودَ الحقِّ، لاعدَمَكَ ولاوجودك ، كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، فَيَرَى جِنَّةً أَسْرَارَ الدَّاتِ وَأَنْوَارَ الصِّفَاتِ مَا لِيَرَاهُ النَّاطِرُونَ، وَيُشَاهِدُ مَا لَا يُشَاهِدُهُ الْجَاهِلُونَ".⁴⁹ فقد ضمنت الشاعرة البيت الأول للشاعر الصوفي الحلاج (ت309هـ) وهو من العصر العباسي قوله:⁵⁰

قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا عُيُونٌ	تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاطِرُونَ
وَأَلْسِنَةٌ بِأَسْرَارٍ تُنَاجِي	تَغِيبُ عَنِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَأَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بِغَيْرِ رِيشٍ	إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَتَرْتَعُ فِي رِيَاضِ الْقُدْسِ طَوْرًا	وَتَشْرَبُ مِنْ بَحَارِ الْعَارِفِينَ
فَأَوْرَثْنَا الشَّرَابَ عُلُومَ غَيْبٍ	تَشْفُ عَلَى عُلُومِ الْأَقْدَمِينَ
شَوَاهِدُهَا عَلَيْهَا نَاطِقَاتٌ	تُبْطِلُ كُلَّ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ
عِبَادٌ أَخْلَصُوا فِي السِّرِّ حَتَّى	دَنَوْا مِنْهُ وَصَارُوا وَاصِلِينَ

فهذا تضمين البيت يكاد يكون كاملاً، دون تغيير ودون التصرف فيه بحيث عمدت فيه الشاعرة إلى هذه الأبيات وأحدثت فيها تغييراً طفيفاً في كلمة واحدة في البيت الأول، فقد جاء عند ميمونة "قلوب العارفين"، ولكن عند الحلاج "قلوب العاشقين" والبيت الثاني ذكرت الشاعرة "بسر" ولكن ورد عند الحجاج "باسرار"، والبيت الثالث جاء مطابقاً تماماً لبيت الحلاج، وفي البيت الرابع للشاعرة تتشابه بعض الشيء مع بيت الحلاج الرابع من حيث معانيه، فقد حذفت صدر البيت المضمنة، والإبقاء على عجز البيت التي استعارته الشاعرة، فكل من الشاعر والشاعرة من المتصوفة لهذا الفهم لدهما متشابه،

⁴⁹ أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجديد، مح. أحمد عبد الله قرشي رسلان، ط. 2، (القاهرة: دار الكتب العلمية، 2002)، 542/3.

⁵⁰ الحسين بن منصور بن يحيى الحلاج، ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، وضع حواشيه وحلق عليه. محمد باسل عيون السود، ط. 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 187.

ولكن الشاعرة لم تحدث في هذه الأبيات تغييرات كثيرة حتى لم تغير في الوزن والقافية فيها، فقد أفادت من المعاني والألفاظ الذي ورد في شعر الحلاج.

فلاحظ أن الشاعرة العباسية جوهر قد كررت أبياتاً لشاعرة في العصر الأموي من غير أي تغيير فلا نستطيع القول إنه تضمنين لأن الشاعرة العباسية جوهر نقلت هذه الأبيات حرفياً، فيما جاء في أمر الخليفة المهدي إنه كان يحب القيآن وسماع الغناء، وكان معجباً بجوهر، فقال لها أطربيني فأنشأت تقول: ⁵¹

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرْضاً أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ كَانَ قَوْلُ يَكْلُمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوِشَاةِ كَلُومُ

إن التشابه في المواقف والأحوال جعلت الشاعرات يضمنن أبياتاً أو أجزاء من البيت ليتناسب الموقف الذي يواجهنها، مثلما الإنسان يضرب الأمثال في مواقف معينة، وكذلك الشاعرات يذكرن أبياتاً لتناسب مواقفهن وأحوالهن عن ادراك وفهم منهن، فقول الشاعرة جوهر مأخوذ بكامله من شعر الشاعرة الأموية امامة جواباً لابن الدمينه قوله:

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَجَّ السُّرَى وَجَوُّ الْقَطَا بِالْجِلْهَيْنِ جُنُومُ
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي خَزَاةً وَرَفَرَقْتَ دَمْعَ الْعَيْنِ فَهِيَ سَجُومُ
وَأَنْتِ الَّتِي أَعْصَبْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَى دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

فكان خطاب الشاعرة للرجل لما نالت منه من أذى، فأخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها، وتعدّد من جنائاته عليها كفاء ما عدده، وعصب به رأسها، قائلة فيه أن ما ارتكبه مني أبشع، وما أنتجتة وقتاً بعد وقت أسوأ، لأنك الذي أخلفت وعدك، وأشمت بي كل لائمه، ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس، وأنت سليم من المكاره، بعيد عن المتاعب، غير مكترث بما ستؤول إليه أموري، فلو أن كلاماً كلم جسماً

⁵¹ بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، 192.

لبدت بجسمي ندوبٌ ومنافذٌ وجرح بأنيابِ المغتابين، وسهام الرماة المراضدين.⁵² فالشاعرة إمامة قلبت هذه الأبيات فضمنها معكوساً في المعنى لأبن دمية مع التزامها بالوزن والقافية، فهذه الحالة أو الموقف التي تعرضتُ له الشاعرتين، كان دافعاً وراء نظم واحدة فيه وتكرار الأخرى له.

وضمنت شاعرة في العصر الأموي صدر البيت من قول الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي (ت13هـ) قولها:⁵³

شهدتُ وبيت الله أنك طيب الثنايا	وأن الخـــــــصــــر منك لطيفُ
وأنك مشبوح الذراعيــــن خلــــجــــمُ	وإنك إذا تخلو بهنَّ عنـــــــيفُ
وإنك نعم الكمع في كل حــــالة	وانك في رمق النساء عفيفُ
نمتكُ إلى العليا عرانبــــين عامر	وأعمامك الغر الكرام ثقيــــفُ
أناسٌ إذا ما أنكرَ الكلبُ أهلهُ	فغنــــدهم حصنٌ أشم منيفُ
لمن جاءهم يخشى الزمانَ وريــــبه	رحيقٌ وزادٌ لا يصــــانُ وريفُ
فبيثُ بني غيلان في رأس يافع	وبيت ثقيف فوق ذاك منيفُ

ويتبين لنا أنَّ الشاعرة قد ضمنّت جزءاً من البيت الخامس من قول الشاعر طفيل الغنوي، وذلك لكي تفيد من معانيه والفاظه قوله:⁵⁴

أناسٌ إذا ما أنكرَ الكلبُ أهلهُ حموا جازهم من كُـلِّ شنعاءٍ مُضلعٍ

فالشاعر في معرض المدح لهؤلاء القوم الذين حموا جازهم من أن يصيبهم أمر شديد. إذا ما أنكر الكلب أهله أي إذا تلبسوا السلاح، وتقنعوا لم يعرف بعضهم بعضاً، فكلا القصيدتين قد جاء في المدح، لهذا فالتشابه في أبياتهما ليس غريباً، فضمنت الشاعرة نصها وأودعتها جزءاً من شعر الشاعر طفيل خدمة لمقاصدها الفنية فقد سعت إلى التصرف في بناء صورة جديدة، فأخذت من صدر البيت الصورة الأصلية

⁵² وهذه الأبيات لابن دمية في الأصل لقيس بن الملوح. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه، غريد الشيخ، وضع فهرسه العامة. إبراهيم شمس الدين، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، 966-967.

⁵³ بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، 206.

⁵⁴ طفيل بن عوف بن كعب، ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، ط.1، (بيروت: دار صادر، 1997)، 73.

معيدة إنتاجه بطريقة فنية مختلفة.⁵⁵ فتضمينها جزءاً من هذا البيت لكي تكسب هذه الأبيات القوة والمتانة.

فجاء تضمين الشاعرات الأمويات والعباسيات من شعر الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين، وقد ضمنن من هذه الأشعار ما يرونها مناسباً لأشعارهن.

الخلاصة

ويمكن اجمال أهم النتائج التي توصلنا إليها فيما يأتي:

- 1- وظفت الشاعرات الأمويات والعباسيات الصور القرآنية في أشعارهن، وجاء اقتباسهن على أنواع إما الاقتباس النصي، أو على شكل الاقتباس الإشاري، أو الاقتباس الإيحائي.
- 2- نلاحظ تأثر بعضهن بالقرآن الكريم في أسلوبه والفاظه وتراكيبه، فقد توجه الشاعرات في كلا العصرين إلى القرآن للإفادة منه، وتثبيتاً لأفكارهن وتوكيدها، وتقوية لأساليهن ونصوصهن الشعرية.
- 3 - كما جاء توظيف بعض الشاعرات الحديث النبوي في أشعارهن، ولكنها جاءت على شكل الاقتباس الإيحائي والإشاري لتعكس مدى تأثرهن بالحديث النبوي من حيث اللفظ والمعنى، ولكنهن لم يستعملن الاقتباس النصي.
- 4 - جاء تضمين الشعر من اشعار الشعراء والشاعرات، وقد افدّن من أشعارهن هؤلاء، فألبسن شعرهن حلة جديدة وجعلنه في سياق جديد مع المحافظة على سياق المعنى المقتبس منه.
- 5- كان لبعضهن الموهبة عند تضمينهن لشعر غيرهم بحيث جعلنه يتناسب مع موضوعهن بصورة منسجمة متألّفة، فشكّلن صورة جديدة غير الصورة القديمة بعد الإضافة من أنواع البديع والبيان.
- 6- ورد تضمينهن لأشعار الشعراء والشاعرات في كل العصور تقريباً من العصر الجاهلي والأموي والعباسي.
- 7- إنّ التضمين الشاعرات لشعر الشعراء والشاعرات موافقاً لموضوعاتهن سواء أكان هذه الموضوعات في الغزل أم الرثاء أم الزهد أم التصوف.
- 8 - فقد اجاد بعضهن في تضمين نصوص الشعراء لإتمام نصوصهن الشعرية كأنه جزء لا يتجزأ منه، وإضفاء الجمالية عليها.

⁵⁵ عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، تقديم: محمد العمري، (المغرب: افريقيا الشرق، 2007)، 100.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- ابن رشيقي، أبو الحسن علي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مح. النبوي عبد الواحد شعلان، ط. 1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2000.
- 2- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين، ديوان ابن سنان الخفاجي، مح. مختار الأحدي، ونسيب النشاوي، (د.م.: مجمع اللغة العربية، 2007)، 501.
- 3- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجديد، مح. أحمد عبد الله قرشي رسلان، ط. 2، القاهرة: دار الكتب العلمية، 2002.
- 4- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992.
- 5- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله، طبقات الشعراء، مح. عبد الستار أحمد فراج، مصر: دار المعارف، 2009.
- 6- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي، ابن منظور، لسان العرب، مح. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- 7- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ديوان أبو العتاهية، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986.
- 8- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط. 1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2000.
- 9 - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مح. علي محمد البجاوي، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.
- 10- أحمد طعمة حلبي، أشكال التناس الشعري شعر البياتي أغوذجاً، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 230/، (شباط، 2007).
- 11- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق، يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.
- 12- الأمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، البخاري، الأدب المفرد، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 2011.
- 13- الأمام مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط. 1، بيروت: دار احياء الكتب العربية عيسى الباب الحلي وشركاءه، 1991.
- 14- بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط. 1، بيروت: دار الأهلية، 1934.
- 15- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط. 2، بيروت: دار العلم للملايين، 1984.
- 16- الحلاج، الحسين بن منصور بن يحيى الحلاج، ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، وضع حواشيه وحلق عليه. محمد باسل عيون السود، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002.

- 17- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المصري، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، مح. عبد الحميد هنداوي، ط.1، بيروت: المكتبة العصرية، 2007.
- 18- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي، المستطرف من أخبار الجوّاري، مح. صلاح الدين المنجد، ط.2، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976.
- 19- السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.
- 20- طفيل بن عوف بن كعب، ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، ط.1، بيروت: دار صادر، 1997.
- 21- عبد الرحمن بن عيسى العمري المرشدي، شرح عقود الجمان، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954.
- 22- عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، تقديم. محمد العمري، المغرب: إفريقيا الشرق، 2007.
- 23- عبد القادر فهلوز، التضمن الشعري: مفهومه، شروطه، طرقه، مراتبه، وجماليته، مجلة المدونة، 2/8، (حزيران، 2021).
- 24- غُلية بنت المهدي، ديوان غلية بنت المهدي، جمع وتحقيق. سعدي ضناوي، ط.1، بيروت: دار صادر، 1997.
- 25- غُلية مصطفى مبارك، أم الفضل، نساء زاهدات، الدار البيضاء: مكتبة السلام، 1999.
- 26- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1959.
- 27- فائزة رضا شاهين، المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري، العراق: جامعة تكريت، رسالة ماجستير، 2004.
- 28- فاطمة أحمد حماد، وفرج منسي محمد، أثر الاقتباس والتضمن في شعر لسان الدين بن الخطيب، مجلة جامعة الأنبار للغات ، 27، (كانون الأول، 2018).
- 29- ليلى بن حذيفة بن شداد بن معاوية، ديوان ليلى الأخيلية، مح. خليل إبراهيم العطية، وجيل العطية، بغداد: دار الجمهورية، 1967.
- 30- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه. غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة. إبراهيم شمس الدين، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- 31- موسى سامح رابعة، الاقتباس والتضمن في شعر عرار، مجلة دراسات - العلوم الإسلامية 1/19، (كانون الثاني، 1992).
- 32- النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، مح. عمر الأسعد، ط.1، بيروت: دار النفائس، 1987.
- 33- هدية بن الخشرم العذري، شعر هدية بن الخشرم العذري، مح. يحيى الجبوري، ط.2، دمشق: دار القلم للنشر، 1986.
- 34- يزيد بن سلمة بن سمره الخير، شعر يزيد بن الطثرية، صنعة. حاتم صالح الضامن، بغداد: مطبعة أسعد، 1973.